

وسيم والأميرة المغرورة

جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

جواهر القصص

الزمردة

٦

جمال شاهين

١٩٩٥

وسيم والأميرة المغرورة

ظل يمشي وحده حتى كلّ من التعب ، فنظر حوله باحثا عن مكان يستظل به من شدة التعب والحر ؛ ولكنه يسير في فلاة خالية من العمران والأشجار ، ومع هذا لمح صخرة ضخمة على يساره فتحرك نحوها ، وهو يسحب قدميه على الرمال سحبا من شدة التعب والإرهاق ، فما وصلها حتى كان على آخر رمق من العطش والنصب ، فرمى نفسه في ظلها ، وذهب يبكي بدمع غزير ، ومن غزارة الدمع بلل شفتيه من العطش ، ثم ذهب في نوم عميق ، لم يصحُ منه إلا مع الغروب ؛ فإذا بطائر عملاق يقف على الصخرة ، الدماء تنزف منه ؛ فكأنه خاض معركة مع طيور السماء ، فأخرج وسيم الشاب الصغير منديله وربط جرح ساق الطائر وهو يتمتم : عافاك الله أيها الطائر من الألم .. فهذه عصابة ؛ لعلها تساعد في وقف الدم النازف من جرحك

فقال النسر العملاق : جزاك الله خيرا يا وسيم الطيب .. اعتبرني صديقك ، وتمنى عليّ ما تشاء أنت إنسان طيب يتألم ويشعر مع الآخرين .

قال الفتى وسيم : أيها الطائر العزيز أتمنى أن تهبني جناحين كجناحيك أطير بهما في أفق السماء.

فقال النسر العملاق : انتظرني هنا .. سأعود إليك عند نصف الليل بجناحي نسر كبير وماء وخبز ، لابد أنك شديد الجوع بعد قطعك كل هذه المسافة من الصحراء القاسية .

قال وسيم : صدقت أيها النسر العملاق .. أكاد أهلك من الجوع والعطش .

طار النسر وحلق في الجو ثم اختفى عن ناظري وسيم ، فحاول وسيم النوم ثانية رغم شدة جوعه وعطشه ، فقضى ساعات يحلم بلذيذ الطعام والشراب والفواكه ، واستيقظ من أحلامه على رفرفة الطير ، فتناول منه سلة الطعام ؛ فإذا فيها منديل جميل وجناحي نسر وذيله وطعام وماء ، فشكر النسر وأثنى عليه وانشغل بالأكل ، واختفى النسر في عتمة ليل الصحراء .

أكل وسيم وشرب حتى شبع وارتوى ، ثم خلع ملابسه ولبس ثياب النسر ثم لبس ثيابه

عليها ، ومكث حتى لاح نور الصباح فتابع المسير سيرا على الأقدام حتى وصل لنهر عظيم ؛ كأنه البحر الكبير ، فجلس فوق بقعة من الحشائش ، وأخذ في البكاء من جديد ، ثم نام ولما صحا من نومه رأى بالقرب منه حوتا صغيرا تـنـزف منه الدماء الغزيرة ، فنهض نحوه ووضع المنديل هدية النسر على جرح الحوت وضغط عليه ساعة من الزمن ثم قال : أيها الحوت الوديع اصبر قليلا فلسوف يقف النـزف عافاك الله من الألم أيها الحوت الوديع فهذه عصابة توقف النـزيف إن شاء الله .



قال الحوت :جزاك الله خيرا يا وسيم الجميل اعتبرني صديقك وتمنى عليّ ما تشاء فأنت إنسان طيب ، يشعر ويتألم مع الآخرين .فقال وسيم : أتمنى أيها الحوت الوديع أن تهبني ثوب حوت إذا لبسته أستطيع أن أسبح في البحر ، ولا أخاف من حيوان البحر .

فقال الحوت : حسنا يا صديقي وسيم امكث هنا الليلة حتى ارجع إليك بما تمنيت وأحضر لك من أزكى طعام البحر .

وودع الحوت وسيما وغطس في أعماق النهر الكبير ، وراح وسيم في نوم عميق لم يستيقظ منه إلا على صوت الحوت الذي أحضر له سلة طعام ، فـتناولها وسيم فوجد فيها منديلا جميلا وثوب حوت صغير وطعاما وشرابا ، فأظهر وسيم شكره للحوت الذي ودعه وغطس في النهر من جديد ، فأكل وشرب وأمضى ليلته عند النهر ، ثم لبس جلد الحوت وأغلقه على نفسه ، ثم نزل الماء وقطع للجهة الأخرى من النهر ، ثم خلعه ولفه على وسطه وتابع المسير حتى أدركه الظلام عند أحد الجبال العظام ، فبحث عن مغارة يأوي إليها ، فلما وجدها وجد فيها رجلا مصابا ، فسلم عليه وسأله عما أصابه ، فأشار الرجل إلى سهم في فخذه .

وقال : لقد رمى عليّ أحدهم هذا السهم وأحس بأنه مسموم يا فتى .

فقام وسيم إلى حيث السهم ، ووضع عليه منديل الحوت بعد أن نزعه رويدا رويدا ، وهو يقول : عافاك الله أيها الرجل اصبر قليلا وسوف يخف النـزيف بإذن الله . فرد الرجل وهو يضغط

على أسنانه من شدة الألم : جزاك الله عني خير الجزاء يا بني العزيز .. ليس عندي ما أكافئك به على إحسانك إلا هذا السيف العزيز المثال ورثته عن آبائي فهو هدية مني إليك لعله ينفعك في رحلتك هذه .

وأمضى الشاب الصغيروسيم ليلة مع الرجل ،

وما ظهر الصباح حتى كان الرجل الجريح يفارق الدنيا، فقام وسيم بدفنه في نفس المغارة وتابع المسير .

اجتاز وسيم الجبل العظيم ، وظل يسير حتى أطل على بحر هائل فهبط إلى شاطئ البحر ، وظل هناك حتى أقبلت سفينة فلوح لها بخرقة معه ، فاقتربت السفينة الصغيرة منه ، ونزل منها رجل ضخم الجثة يصيح بقوة : أين أنت مسافر أيها الفتى ؟

فصاح وسيم بأعلى صوته : إلى بلاد " ألواح ماح " بلاد الثعابين احملني معك أيها الرجل المحترم .

فأشار له الرجل الضخم بالصعود فانتقل من الأرض إلى السفينة ، ثم تحركت السفينة الصغيرة من جديد ، وأخذ البحار منه درهمين ولم يكن يملك سواهما ، وبعد ليال وصل الفتى الشجاع وسيم إلى شاطئ بلاد " ألواح ماح " بلاد الثعابين ، فهبط من السفينة وشكر الربان وزبانيته ومشى نحو البلدة وهو يسأل عن بيت العجوز أم المحاسن ،كما أوصاه الشيخ الخفي ، وصل بيتها مع حلول الظلام فطرق عليها الباب ، ولما عرفها بنفسه ، وأنه قادم إليها من طرف الشيخ " وهيب الزمان " ، رحبت به وأنزلته في بيتها ضيفا عزيزا مكرما ، فصنعت له الطعام والشراب ، وقالت له بعد العشاء الطيب : أيها الشاب الجميل .. أين التقيت بالشيخ وهيب الزمان "؟!

فبكى وسيم بكاء أليما ثم قال من بين دموع وزفرات حارة : يا سيدتي أم المحاسن أنا من قرية حلت بها كارثة عظمى ، كنت أرعى بضع غنيمات لأهلي مع رعاة البلدة ، ولما عدنا للقرية وجدناها قد أصابتها زلزلة شديدة لم تبق أحدا من أهلها إلا من كان خارج القرية ، فقد انشقت

الأرض وابتلعت الناس عن بكرة أبيهم ، فأصابني الحزن القاتل والبكاء الأليم ، وأصبحت وحيدا في هذه الدنيا ، فقد هلك أبي وأمي وكل إخوتي وأصدقائي ، فقضيت أياما أقف على مكان بيتنا أبكي بكاء تتفطر له الجبال العاليات ، ولا آكل الطعام لما حل بأهلي من الدمار والهلاك وبينما أنا ذات مساء أجلس على صخرة كالكرسي أناجي أبي وأمي رأيت الشيخ يقول : يا وسيم لا تحزن .. هذا حال الدنيا موت وحياة صحة ومرض.. أنا الشيخ "وهيب الزمان" الشيخ الخفي .. أعرف ما حل بك من المصاب ؛ ولكن أيها الفتى هنالك في بلاد بعيدة .. بلاد الأميرة المغرورة .. هنالك قدرك .. عليك أن ترحل لتلك البلاد وتتزوج تلك الأميرة ؛ لتصبح أميرا من أمراء الزمان .

ثم تابع الكلام فقال : ثم اخبرني أنني احتاج لأيام وأيام حتى أصل لتلك البلاد ، فقطعت الصحراء والنهر العظيم والجبل الهائل والبحر العظيم حتى وصلت إليك ؛ لأنني سأقتل ثعبان الثعابين ؛ لأنه سيموت على يديّ كما أخبرني الشيخ الخفي ، وقد طلب مني أن أنزل عندك وأستعين بك وبأغنامك لأدخل حمى الثعبان الكبير وأقتله وآخذ قلبه معي لبلاد الأميرة المغرورة ولما أصرع الثعبان بإذن الملك العلام سيطلب مني أهل القرية تخليصهم من الفيل العملاق حامي حمى الغابات السبع ، ثم آخذ قلبه لبلاد الأميرة المغرورة ، فهذه قصتي وغايتي من المجيء إليك يا جدتي أم المحاسن .

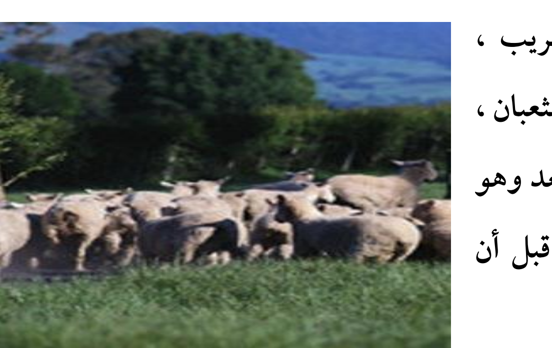
قالت العجوز مرحبة : مرحبا بك يا ولدي .. لقد أخبرني الشيخ الخفي بأن الثعبان الظالم مقتله سيكون على يد فتى من بلاد بعيدة ، فأنت هو الفتى فارس الميدان ، فمرحبا بك في بيت خالتك العجوز أم المحاسن .. لقد آن للظلم بالزوال .

ومكث الليل ضيفا مكرما عند أم المحاسن ، ومع بزوغ الفجر أخذ غنيمات العجوز ، وانطلق مع رعاة الحي حيث المراعي ، ثم سألهم عن مرعى ثعبان الثعابين ، فجفل السامعون من سؤاله ولما طمأنهم بحسن الكلام دلوه على المرعى ، وهم يحذرونه من الهلاك والتورط بدخول مرعى الثعبان ، فقال لهم : لا بأس عليكم ، فما أرسلني الله إلى هذه القرية إلا لأخلصكم من هذا

الثعبان الظالم .

فتعجب الرعاة من كلامه وتمنوا له التوفيق في مهمته ، ومضى نحو حمى الثعبان ، والرعاة في خوف عليه من غدر الثعبان الطاغية ، ودخل المرعى بقلب أقوى من قلب الأسد الضاري وبحفظ من رب العباد الباري ، فرعى الغنمات حتى رتعت وشبعت ، ثم عاد مع المساء للقرية والرعاة يعجبون من عدم تعرضه لخطر الثعبان ، وروى للعجوز ما جرى له فقالت : احذر غدر الثعبان، فلابد أنه لم يكن داخل الحمى اليوم .

ومع الصباح الباكر أخذ غنيمات العجوز وانطلق نحو حمى الثعبان ، وقد دخل الحمى متحديا والرعاة قد تجرأ بعضهم واقترب من الحمى يتفرج على الراعي وسيم ، ومضى يومان وثلاثة وغنمات العجوز ترتع في الخيرات ، وانتشر الخبر بين الناس أن الفتى وسيما يقتحم مرعى الثعبان ، ولم يجرؤ الثعبان على التصدي له ويؤذيه ،وجبن عن الظهور له ، فبدأ أصحاب الأغنام يشجعون رعاتهم بدخول مرعى ثعبان الثعابين ، وبدأ بعضهم يتشجع ويدخل مع وسيم ليرعى داخل الحمى ، وهم يعجبون لإختفاء الثعبان الظالم ، فقد كانوا يسمعون صراخه وفحيحه عند أول وهلة تقترب فيها غنم من حماه إن لم يفترسها قبل أن يسمع صوته .. بل كم من الرعاة قتلهم بسُمه لإقترابهم من حماه ، فيسألون وسيما عن السر الذي يملكه ويحميه من الثعبان فيجيب : لقد قدمت من بلاد بعيدة للفتك به ؛ فكأنه عرف سري .



فيصيب الناس العجب لهذا الكلام الغريب ، وذات ضحى والرعاة قد دخلوا عرين الثعبان ، سمع الرعاة زمجرة وفحيح الثعبان من بعد وهو يصيح : أيها الرعاة اخرجوا من حماي قبل أن افتك بكم جميعا .

فهرب الرعاة بجلودهم على الفور ، وتركوا أغنامهم خوفا من بطش الثعبان الوحش ، وقد سمعوا وسيما يصيح : أين أنت يا ثعبان الثعابين ؟! لي أيام أرتع في مرعاك ، ولا أسمع فحيحك

وصياحك .. ألا ترحب بضيفك ؟ أنا وسيم حامل سيف الانتقام .. إليّ أقبل ..



فقال الثعبان الضخم بكل هدوء : أنا أعلم لماذا جئت يا وسيم ؟! .. أتريد قتلي وإنقاذ الناس من شري ؟! فاعلم أنا لست شريرا ، فهذه الأرض لي ، هذه مملكتي ، فأنا أحميها ، فمن أجل ذلك منعت الناس من دخولها ، مَن آذاني آذيته ، هل في هذا ظلم وعدوان ؟! أتحب أن يعتدي أحد على أملاكك وحماك وأرضك وبيتك ؟

رد وسيم قائلا : حق ما تقول أيها الثعبان .. ولكنك نسيت أمرا مهما وجليلا ، وهو أنك سلبت هذه الأرض من أهل القرية وفتكت بأصحابها ، فلم تكن الغابة والحقول هذه ملك لك ولا لأبيك ، إنك اعتديت على أصحابها ، وأصاب عدوانك الرعاة والأغنام ، فكم من راع قتلته ؟! وكم من نعجة أهلكتها ؟! وأنت تثير الخوف والرعب بين أهالي القرية ، وتمنعهم من الرعي في أراضيهم ألا يعتبر هذا ظلما وعدوانا ؟!

قال الثعبان : أيها الفتى! .. أنا أرضى بحكمك بيني وبين هؤلاء الناس .

فقال وسيم : أنا لست حاكما لأحكم بينكم ، أنت خصم لي وعدو ، وأنا قادم للفتك بك وأخذ قلبك معي لبلاد الأميرة المغرورة ، فعليك أن تصارعني إما أن تنتصر عليّ وتظل سيدا وملكا في حماك ، وإما أن أصرعك وأخذ قلبك للأميرة المغرورة .

فرفع الثعبان من صوته لما استوعب كلام وسيم فقال : وسيم البطل ..اعلم أنني غضضت الطرف عن اقتحامك حماي كل هذه الأيام ، ومع ذلك سأسمح لكم بالرعي من أجلك أنت لنبقى أصدقاء .

هزّ وسيم سيف الانتقام بيده وقال : أنا ذكرت لك الغاية من مجييء لهنا .. فأنا سيف النقمة والقصاص .. فقلبك أريده فلا مناص لك من محاربتي .

قال الثعبان بوجل واضح : وسيم البطل .. أهبك كنوزي كلها على أن تعود لبلادك ودعك من

الأميرة المغرورة .

قال وسيم وقد هز سيفه يمينا ويسارا فازداد لمعانا مع بريق الشمس : أيها الخصم دافع عن نفسك حان وقت القصاص .

فتحرك الثعبان يمينا وشمالا عدة مرات وقال : لابد من القتال .. إنك ترفض صداقتي ، وعليّ أن أدافع عن كرامتي وهيبتي وملكي ..تذكر أنك أنت الآن أصبحت ظالما معتديا .

قال وسيم وهو في غاية الانتباه والحذر : أنا أريد أن أقتص منك للذين ظلمتهم وأكلتهم فاستعد للعراك .

ونشبت بينهما معركة حامية الوطيس ، كان يقاتل فيها الثعبان باستماتة ويأس حتى تمكن وسيم من ضربه بسيف النقمة على رأسه ، فانفلق وخر الثعبان صريعا يتخبط بدمه يصيح : اضرب رأسي مرة أخرى .

فرد وسيم وهو نشوان : أوصاني الشيخ الخفي أن لا أفعل .. ضربة واحدة على الرأس بسيف ذلك الرجل الذي أهلكتموه في الجبل .. ألم ترسل من يغتاله يا غدار ؟ حتى لا يصل سيفه إليّ وأقتلك فيه كما هو مقدر ، فلقد وصلت إليه قبل أن يموت وأخذت السيف السحري منه وعرفت أسراره قبل أن تأخذوه .. كم صخرة دحرجتم نحوي وأنا صاعد في الجبل .

عندئذ شهق الثعبان نفسه الأخير ومات ، فشق وسيم صدره وأخرج قلبه ووضعه في كيس ، ثم قطع الرأس وخرج من الحمى وهو يصيح على الرعاة : لقد مات الظالم! جاءه يومه .. هذا هو رأسه أيها الناس .. أين حمى الفيل ؟؟

هجم الرعاة على وسيم يعانقونه ويهنئونه على سلامته ويمدحون شجاعته وقوة قلبه ، وانصرف الناس إلى المدينة وهم يتحدثون عن شجاعة وسيم وبسالته ، وأخذ وسيم رأس الثعبان وانطلق مع بعض الرعاة نحو غابة الفيل ، وقد أوصى أحد الرعاة بإعادة غنمات أم المحاسن إليها حتى يرجع من غابة الفيل ، ولما وصلها علق الرأس على عصاة طويلة على مدخل الغابة ، وكروا راجعين للمدينة ، وعند بيت أم المحاسن وجد الناس مجتمعين ليتفرجوا عليه على البطل الذي

خلصهم من عدوهم الثعبان ، فشكر الناس ووعدهم وبشرهم بقتل الفيل الضخم ليتمتعوا بخيرات بلادهم وحدهم دون غيرهم ، ثم أقبل رجال القصر وهنئوه على انتصاره الرهيب على الثعبان المرعب ، وشجعوه على تخليصهم من الفيل العملاق فقال : ابشروا بالذي يسركم اليوم أرسلت له رسالة علقت رأس الثعبان على مدخل حماه غدا ـ إن شاء الله ـ سأقتحم عرينه .

فقال وفد القصر : إن الأمير السلطان راغب بلقائك والاجتماع بك .

فرد بلطف : سأفعل لما أقتل الفيل العملاق حامي السبع غابات .

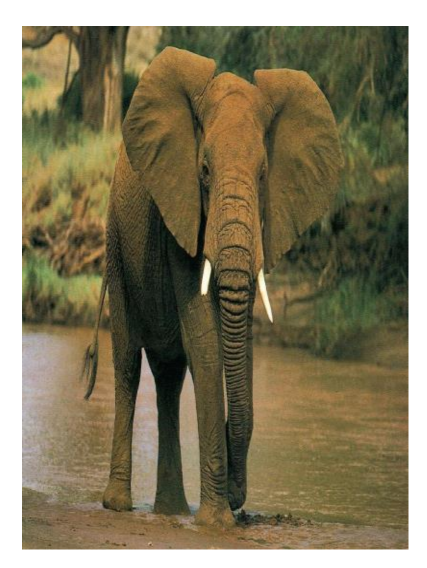
فدعوا له بالتوفيق والنصر المؤزر ، وتفرق الناس نحو منازلهم .



الفيل العملاق

ولما أصبح الصباح أخرج وسيم غنمات أم المحاسن من زريبتها ، وسار إلى الغابات السبع حيث يسكن الفيل العملاق ، فلم يجد رأس الثعبان معلقا ، وعلقت على العصا راية سوداء ، فدخل الغابة مع غنيمات العجوز وكان يصيح : أيها الفيل العملاق ! .. اظهر ها أنا أرتع في غابتك جئت لرؤيتك وتحيتك .

فما كاد وسيم يتم كلامه حتى كان الفيل يبرز أمامه كأنه الجبل ويصيح : أيها الفتى الغبي ! .. ما الذي رماك عليّ ؟! .. إنهم يريدون قتلك والحاقكك بأهلك ..هل ظننت أنني جبان كالثعبان الكبير ؟ .. لا .. لا .. لا .. أنا الفيل العملاق قاهر الحساد والأعداء .. اسمع نصيحتي وارجع لموطنك قبل فوات الأوان .. يا أيها الفتى الغبي ! عد لوطنك ودعك من الأحلام الكبيرة التي تراود خيالك .. فالحصول على الأميرة المغرورة دونه المفاوز والصعاب .. عش في بلادك ودعك من المعالي فاسمع نصيحتي وارحل بسلام .



رد وسيم وابتسامة جميلة ارتسمت على محياه : أيها الفيل العملاق ! ..أنت مغرور ومخدوع بقوتك وضخامتك .. سمعت كلامك ووعيته ؛ ولكني مرسل للقضاء عليك وأخذ قلبك الضخم لبلاد تلك الأميرة وإنقاذها من الغرور والشرور وقتل سيدك الساحر " فلول " ، هذا وعد وعدني به الشيخ الخفي الشيخ "وهيب الزمان".. وأنت طغيت وتجبرت وحرمت الناس والبشر من خيرات هذه الغابات السبع .. الثمار تذهب هدرا ، والأعشاب لا تنتفع بها أنعام القوم ، وفوق ذلك كم من الناس آذيت وقتلت لدخلوهم الغابات جهلا أو نسيانا ؟ كل هذا طاعة لسيدك الساحر ..ما ذنب هولاء الخلق الصرعى سوى أن زلت بهم الأقدام ودخلوا أرضك ؟.. حان وقت القصاص والخلاص منك أيها الظالم ..

فهذا يومك .. الحق له حين ورجال ..فبدأت النهاية لك ولسيدك الساحر اللعين ـ وأخرج وسيم السيف من غمده وصاح ـ دافع عن نفسك أيها الفيل المغرور !

التزم الفيل الصمت والهدوء برهة من الوقت ثم قال : سمعت كلامك ووعيته .. لا أدري هل تقتلني حقا أم أسحقك كما سحقت غيرك ؟ .. ولكني أول مرة أشفق على إنسان يدخل غاباتي.. فقد عطفت عليك أيها الغلام الغبي .. فعد لوطنك ودعك من المعارك .. ولماذا أرسلك الشيخ " وهيب الزمان" ؟ أم أنه خائف على روحه ؟ ويريد أن يقدمك على مذبح رعبه وخوفه .

هز وسيم السيف عدة مرات وقال وهو يتقدم نحو الفيل بخطوات ضعيفة : لن تشغلني بالكلام دافع عن ملكك وروحك .

فهاج الفيل هيجانا عظيما ، واشتد الغضب في قلبه ، فحرك خرطومه الطويل في الفضاء عدة مرات ، فكان له صوت رهيب ، واندفع على وسيم اندفاع النمر الضاري ، فانزاح وسيم من طريقه بخفة الريم ، ودارت معركة مرعبة ومطاردة مخيفة ، فتمكن وسيم من قلع إحدى عينيه فزاد هيجانه فأصبح كالمجانين ، وانطلق يقصف الأشجار والأغصان ، وهو يهدر هدير البحار، ثم ينقض على وسيم من جديد الذي كان له بالمرصاد ، ولم تزعجه قوة الفيل وهيجانه المرعب، وحافظ على هدوء أعصابه حتى قلع عينه الأخرى ، ثم ضرب خرطومه فقطعه ، فانطلق الفيل يصيح ويركض في الغابة على غير هدى ، ووسيم خلفه حتى اصطدم بشجرة ضخمة شقت رأسه فوقع أرضا ، وهو يصيح : وداعا أيتها الغابات .. وداعا أيتها الأشجار الجميلة .. لكل حي نهاية مهما امتدت به الأيام .

ثم قتله وسيم حتى خمدت أنفاسه ، ثم استخرج قلبه ووضعه في كيس خاص ، ثم قطع رأسه العجيب وسحبه حتى مدخل الغابة وهو يصيح : أيها الناس .. لقد مات الفيل العملاق وانتهى ظلمه فارتعوا بنعم الله .. واعلموا أن لكل طاغية وظالم نهاية وزوال .. واشكروا واحمدوا ربكم الذي أنقذكم من الفيل والثعبان .

وكان أكثر أهل القرية في انتظار نهاية المعركة ، فهنئوه على السلامة ، وابدوا امتنانهم لفعله وانتصاره الكبير على الفيل العملاق حامي السبع غابات ، وقاده الأمراء والسادة إلى قصر السلطان ، وجرى له عرس كبير في البلد حتى أن السلطان عرض عليه منصب الوزير ، فاعتذر لهم وذكر لهم الغاية من قدومه لهذه البلاد ، وهي إنقاذ العباد من الثعبان والفيل والمسير بقلبيهما لبلاد الأميرة المغرورة ، وإنقاذها من غرورها وساحر الرعب فلول .

فمكث ضيفا عندهم بضعة أيام ، ثم أوصى السلطان على العجوز أم المحاسن ، وودعهم وتابع الرحلة إلى بلاد الأميرة المغرورة ، فنزل في فندق قديم لا ينزل فيه إلا الفقراء والمساكين ، واستأجر غرفة وحده ، وقضى بضعة أيام يتفرج على البلد وأهل البلد ، فتعرف خلالها على أحوال الشعب ، فوجد أن أكثر حديث الناس عن الأميرة المغرورة وحكايات غرورها وزهوها على خلق الله ، وعلم أن اسم هذه الأميرة " شمهدان ابنة الملك رمح السماء " ، وعلم أن الأميرة تزدري الفقراء والمساكين وتسيء إليهم وتذلهم ، وعلم أن والدها ترك لها حرية العبث في المدينة ، تقتل من تشاء تذل من تشاء تنفي من تشاء تحرق من تشاء تدمر ما تشاء ، لا أحد يسألها أو يحاسبها ، تيتم الأطفال ترمل النساء تغرق من لا يطيعها في البحر .. إنها وحش رهيب في صورة إنسان ، فأخذ وسيم البطل يتحين الفرصة ليشاهد الأميرة شمهدان ويجتمع بها، فعلم أنها تتردد على تاجر من تجار الثياب الجميلة يجلب الحرير والسندس من أقصى الدنيا ، فعرض نفسه للعمل عنده بقوت يومه ، فوافق تاجر الحرير سماق ، ويوما ما قال لوسيم وغلمانه : لقد وصلت مساء أمس ثياب جديدة .. سأذهب إلى قصر الأميرة شمهدان .. من منكم يحب أن يرافقني في هذه الزيارة ؟

فقال وسيم : أنا يا معلمي إذا أذنت لي .. فأنا كما تعلم غريب عن هذه البلاد لعلي أحظى برؤية هذه الأميرة الجميلة .

رد التاجر الكبير : استعد يا وسيم .. هذا المساء لمرافقتي إنك فتى شجاع .. هؤلاء الغلمان لا يحبون صحبتي عند الذهاب إلى قصر الأميرة .. فهم يخافون بطشها وغرورها .. فكم أهلكت

لي من الغلمان لأتفه الأسباب ؟! ولكنها تندم فيما بعد وتدفع لي ثمنهم ؟

فقال وسيم : ولماذا تقتلهم يا معلمي ؟

فابتسم التاجر : لعلك خفت من لقائها .. أحيانا لا يحسن الغلمان الأدب أمام الأميرة .. تراهم مشدوهين في حسنها وفـتنتها .. وأحيانا لا يحسنون الكلام معها .. فهم لا يحسنون الإجابة من الخوف والارتباك أو الفتنة .. فتغتاظ منهم فتهلكهم .. فهي مغرورة .. فيا بني عندما تقابل الأميرة لا تنظر إليها حتى لا تنبهر بجمالها ، فيضيع عقلك فهي باهرة الحسن ، وقد تكون أجمل امرأة يقع عليها بصرك .. فلذلك اغضض بصرك بقوة .. وإذا كلمتك تكلم معها بكلام موجز واضحا، ولا ترفع عينيك إليها فتـفتنك فتتلعثم بالإجابة ، وإن لم تحسن الكلام فقل بكل أدب سيدي سماق أمرني بالسكوت .. الآن انصرف واسترح وعد مساء قبل الغروب ؛ لأننا قد نمكث عندها طول الليل أي في القصر حتى يؤذن لنا في عرض بضاعتنا .

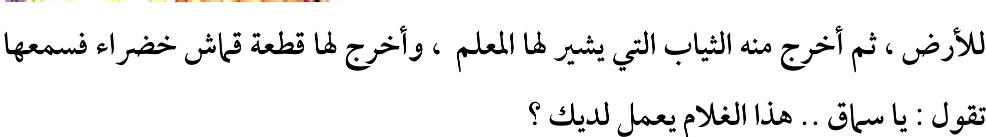
جاء وسيم مغربا وقد استعد لصحبة التاجر سماق في عرض بضاعته الجديدة على الأميرة قبل أن يعرضها على الناس ، كما هو متفق مع الأميرة شمهدان ، وحملت صناديق الثياب على ثلاث بغال جميلة ومزينة بأحسن زينة ومدهونة بأطيب عطر ، وقام وسيم بقيادة أحد البغال وتبعه الآخران ، وكان التاجر قد اعتلى بغلة بيضاء عليها من الثياب والألوان ما يبهر الناظرون ، وقد لبس التاجر ووسيم ملابس حسنة بهجة للناظرين ، فكان من يراهما من رجال السوق يدرك أنهما سائران لقصر الأميرة المغرورة ، وسار الموكب الصغير نحو قصر الأميرة ، ولما شاهدهم حرس الأبواب رحبوا بهم ـ فهم يعرفون السيد سماق حق المعرفة ـ وبعد أن أذن لهم دخلوا القصر ، وتقدم عدد من الغلمان فحملوا صناديق الثياب والقماش ، وقام آخرون بنقل البغال حيث اصطبلات الأميرة ، ولحق وسيم وسماق الغلمان الذين حملوا الصناديق ، ورأى الفتى من الجمال والألوان والورود والأزهار والروائح والجواري والخدم والبسط والشموع الملونة ما يفتن الإنسان ، ويثير شهوة الشعار البارعين في وصف الحدائق والجنان ومجالس الأنس والفرح ، ومن دهليز إلى دهليز ادخلوا التاجر غرفة واسعة مفروشة بسجاد من بلاد الأعاجم ووسائد

غريبة الأشكال والأحجام ، وهناك وضعوا الصناديق الثلاثة وقال رئيسهم : امكث هنا يا سيدي سماق ريثما تأتى الأميرة المبجلة مولاتنا شمهدان .. فهي كما أخبرتني الجواري في صحبة أمها الملكة .. فعندما تخرج ستخبرها الجارية بوجودك .

فقال سماق بصوت ناعم هادئ : حسنا أيها الأبطال نحن بالانتظار ، فقد قدمنا بأروع وأجود الثياب والقماش التي وصلتنا من أقصى الدنيا .



بعد ساعة من الزمن أقبلت الأميرة الجميلة شمهدان وبين يديها سبع وصيفات ؛ كأنهن شمس بين سبعة بدور ، فنهض التاجر عند دخولها محييا ، ووسيم قد ضل عقله من بديع صورتها ؛ ولكنه تدارك نفسه بلمح البصر ، ونهض مقلدا التاجر ، فرآه قد تقدم من الأميرة التي وقفت في نصف القاعة وهي ترحب به ، فقبل التاجر يدها ، وفعل وسيم مثله وهو في غاية الانبهار ، وأخذ التاجر يمدح بضاعته ، ووقف وسيم بجوار أحد الصناديق منتظرا الإشارة لفتحه ، وكان ينظر للأرض ومن طرف خفي يمتع نظره بالنظر لهذه المخلوقة التي حدثه الشيخ الخفي بأنها ستكون حليلته ، ويقول في نفسه : إنها فاتنة حقا ..هذه هي الأميرة التي ساقترن بها بمشيئة الرب العظيم .. هذا ما قاله الشيخ الخفي .. ستبدأ المعركة بعد قليل .



وبينما هو مسترسل في أحلامه سمع المعلم يقول : افتح الصندوق يا غلام

رفع وسيم الصندوق الذي أشار إليه التاجر سماق ووضعه بين يدي الأميرة التي كانت تجلس على عرش من خشب الأبنوس والأرز وفتحه ، وهو يجاهد نفسه باستمرار النظر للأرض ، ثم أخرج منه الثياب التي يشير لها المعلم ، وأخرج لها قطعة قماش خضراء فسمعها تقول : يا سماق .. هذا الغلام يعمل لديك ؟

فقال سماق بقلق وبطء: نعم يا مولاتي.. غلام جديد أكرمني الله به .. وهو خادمك الأمين

أمسكت الأميرة بقطعة الثياب . وقالت : ما اسمك أيها الفتى ؟

قال وسيم وهو يحدق النظر في الأرض : مولاتي .. اسمي وسيم .

فكأن الأميرة جفلت قليلا فرمشت عيناها وقالت: وسيم .. رائع ! اسم جميل وحسن أيها الغلام !

فقال بصوت هامس : نعم .. أيتها الأميرة العزيزة .. أنا وسيم .

أخذت الأميرة تقلب الثوب وقالت : أيها الشاب .. أنت غريب عن هذه البلاد ؟
نظر وسيم للتاجر فرأى في عينيه أجب فقال : نعم ، يا سيدتي الأميرة .. أنا يتيم .. لا أب لي ولا أم .. تنقلت في البلاد حتى وصلت إلى هذه المدينة الجميلة والتحقت بالعمل عند السيد سماق بقوت يومي .
كاد سماق أن ينفجر غضبا من ثرثرة وسيم وخشي عليه الهلاك ، وسمع الأميرة تقول وهي ما زالت تتفرج على الثوب المنشور بين يديها : هل أنت قوي يا وسيم ؟ .. مالك تنظر لسيدك ؟ انظر إليّ أنا !
فرد قائلا : قوي ! .. ماذا تقصدين بقوي يا مولاتي ؟
فقالت : أتحسن ركوب الجياد واللعب بالرمح والسيف ؟ .. وارفع عينيك وانظر إليّ !
فقال المعلم وقد رجح لديه تعرض الفتى للأذى : لا تخف يا بني ارفع عيناك وأنظر في وجه الأميرة ، لقد أذنت لك وأجب على أسئلة الأميرة .. ولا تخف .
أمعن وسيم النظر إلى عيني الأميرة بقوة فقالت الأميرة : أيها الفتى إن في عينيك لسحرا .. أجب على سؤالي .. هل تحسن ركوب الجياد وضرب السيف ؟
فقال وهو مازال محدقا فيها ولم يطرف له رمش : أركب الخيل يا مولاتي ؛ ولكني لست من الفرسان ، أما السيف فإني أجيد حمله والطعن به .. وقد مررت على بلاد الثعابين وهناك لقيت ثعبانا كبيرا هائلا يمنع الناس الرعي من سنين ، ففتكت به وخلصت الناس من شره .
فصاحت الأميرة فجأة صيحة اهتز لها المكان وقالت : ماذا قلت أيها الفتى ؟
واخرج وسيم من وسطه كيسا كان يخفيه ، وأخرج منه قلب الثعبان الملفوف بمنديل جميل وفتحه وقال للأميرة : انظري يا مولاتي ! .. هذا هو قلب ثعبان الثعابين .
وبسرعة أخرج قلب الفيل وقال وهو ينشره أمامها وأمام دهشة التاجر والوصيفات : وهذا هو قلب الفيل حامي الغابات السبع أيتها الأميرة ، لقد أرديته ميتا وخلصت الناس من شره .. وأنا قادم إليك لأنقذك من الساحر فلول .. وأتزوجك فاطمئني لي وثقي بالله العزيز القدير وأنا

عملت مع التاجر سماق لأصل إليك واجتمع بك فاعتمدي عليّ أيتها الأميرة سأنقذك من الساحر فلول . وأخرج سيف النقمة وهزه بالفضاء حتى سمع القوم أزيزه وقال : أنا وسيم الذي تنتظرينه .. وعدني الشيخ الخفي بالزواج منك أنت قدري .

التاجر سماق قد فقد صوابه لما سمع هذا الكلام ، وظن أن فتاه أصابه مس من الجنون من شدة حسن الأميرة ، وكانت الأميرة بعد تلك الصرخة الحادة عادت تنظر في قلبي الثعبان والفيل وتسمع كلمات وسيم ؛ وكأنها في عالم آخر ولما صمت الشاب ، أشارت للقلبين المطروحين أرضا ثم قالت بصوت ضعيف جدا : أحقا هما قلبي الفيل العملاق وثعبان الثعابين ؟!

وأمام دهشة السامعين اقترب الفتى من الأميرة ، وربت على كتفها ؛ كأنه يعرفها منذ سنوات : مولاتي دعيني أنقذك من الساحر .. تعاوني معي أيتها الأميرة .. سنعيش سعداء .. سنفرح ونتزوج ويفرح أهلك وأهل المدينة .. سيسر الخلق عندما تعودين أميرة لطيفة .. أميرة تحب الخير للآخرين .. سيغفر لك الناس ما ارتكبتيه في حقهم من العبث والظلم والغرور .. سيعلمون أن هذا كله من تأثير الساحر فلول .. تعاوني معي أيتها الحسناء .. فنقتله بهذا الحسام الذي لا يخيب حامله أبدا .. فهو سيف من صنع السحرة القدماء .. ففي ضربة منه خر الثعبان صريعا ومثله الفيل العملاق .. عمل الخير جميل وممدوح ورائع ويستحق التضحية أيتها الأميرة الشر نهايته شر وظلام .. السعادة في الخير والإحسان للضعفاء والمحتاجين .

كان سماق مدهوشا مما يسمع من غلامه وازداد دهشة عندما سمع الأميرة الصامتة تقول : أحقا يا وسيم تستطيع إنقاذي من ساحري ؟!

فهتف الشاب بفرح ومشجعا للأميرة : من أجل هذا جئت أيتها الأميرة .. ومن أجل ذلك دخلت عليك بهذه الطريقة حتى لا يعلم الساحر بوصولي وبمقابلتك ، ومن أجل ذلك جئت بقلبي الثعبان والفيل لتتشجعي وتثقي بي .. تعاوني معي .. أوصليني إليه وسوف ترين كيف أفتك به .. الحرية .. الحرية .. تحرري من الأسر .. من الغاصب .

فقالت بهمس ضعيف وخوف: وسيم عندما سمعت اسمك من الساحر توسمت فيك الخير

والشجاعة وأحببت لقياك ..ولكني خائفة منه .. فهو ساحر لئيم .. دعني أيها الصديق وعد لوطنك .. دعني لقد سيطر عليّ اللعين بسحره .. فعندما يسألني عند الفجر .. سوف أعترف له بوجودك .. لا أستطيع أن أخفي عنه اجتماعي بك .



أخرج وسيم منديلا وهو يقول :هذا المنديل ضعيه في ثيابك فلن تكشفي له أمري وستخف سيطرته على أسرارك ، فهو منديل من مناديل الحيتان .. وعندما تركبين على متن الساحر فليبق في ثيابك ، وسأكون أنا في البحر في ثياب الحوت ، ومن رائحة هذا المنديل سأتبعك ولا تخافي وإذا دخلت قصر الساحر اتركي الباب مفتوحا وسوف أدخل وأفتك به .. أنا مستعد للمعركة يا شمهدان تعاوني معي .

قالت وما زال الخوف في نبرات صوتها : أخاف أن تفشل فنموت معا .. إنه يقتلنا شر قتلة .

تبسم البطل ابتسامة تشجيع وقال : يا أميرة الزمان .. أنا مستعد للمعركة .. وإن فشلت فلن يؤذيك إلا ببعض الشتم والسب ، فسيضع نقمته عليّ فهو عاشق لك ولهان .. المهم أن تحتفظي بالمنديل جيدا في مكان خفي بين ثيابك التي تلبسينها ، واحذري أن يسقط منك أو يراه الملعون حتى أتمكن من السير وراءك .. ودعي الباب مفتوحا والباقي عليّ إن شاء الرب العظيم .

فعندئذ قالت الأميرة أمام دهشة السامعين : حسنا أيها البطل سأستسلم لك وأطيعك وأنفذ رغبتك ، كما قلت لابد من التضحيات للنجاة من سحره وشروره .. لقد ضقت ذرعا من طغيانه آه يا وسيم أتمنى من كل كياني أن أتخلص منه .

وبعد فترة صمت وقد خيم السكون على الغرفة قالت الأميرة بهمس : سأدخلك حجرتي المطلة على البحر ..فهو يأتيني بعد نصف الليل فيحملني على ظهره إلى قصره في جزيرة داخل البحر وقبل شروق الشمس يعيدني لغرفتي .. وأنت يا سماق اقض ليلتك هنا مع هؤلاء الوصيفات

وفي الغد سأنظر في ثيابك .

وتركت الغرفة وخلفها الشاب الصغير وسيم ، وأدخلته غرفتها وفتحت نافذة وقالت : من هنا يأتي .. وذا البحر .

فأخرج وسيم منديلا وأعطاه للأميرة ، ولبس ثياب الحوت وقفز إلى الماء ورقد تحت النافذة ، ولما جاء نصف الليل فتحت الأميرة النافذة ، ولم يطل الانتظار جاء الساحر فسمعه وسيم يخاطب الأميرة قائلا : كيف حال أميرتي .. مالي أراك حزينة وناعسة ؟

فقالت بحزن وتعب : إنني متعبة ومريضة يا سيدي الساحر .. لقد أتـعبني سحرك .. ألم تجد أميرة غيري تعشقها ؟ .. ألا تريد أن تعتقني بعد كل هذه السنوات ؟!

فرفع نبرة صوته فقال : مالك تشكين ؟ .. هيا اركبي .. هناك سوف أداويك وأعالجك .. لا خلاص لك مني .. أنت روحي الموجودة في جسدي .. أنا سيدك الساحر .. ألا يوجد عندك أخبار ؟.. هل التقيت بوسيم ؟ .. لقد وصل لهذه المدينة وبحثت عنه فلم ألقاه بعد .

فقالت وكلها خوف ووهن : آه .. لقد شوقتني لرؤية هذا الرجل يا سيدي الساحر .

ضحك الساحر بصوت عال وجنون ثم قال وهو يضحك : علمت أنه سيتزوجك .. ورفع من ضحكه وتابع : لا .. لا يمكن أن يتزوجك وأنا حي .. هيا اركبي .. آه لو يقدر لي قتله .. وقتل سيده " وهيب الزمان " .. أنت لي وحدي أيتها الأميرة .. أنا الذي سيتزوجك عندما أخلص من هذين الشريرين .. الوغدين !

صعدت الأميرة على كتفيه فقال لها : مالك مضطربة ؟! .. إن جسدك ينتفض أيتها الأميرة ؟

فقالت : ألم أقل لك أنني متعبة ومريضة ؟ .. ما رأيك أن تعتقني الليلة من الذهاب معك ؟

فصاح : لا ..وألف لا .

وطار بها في الجو فوق مياه البحر ، وتبعهم الحوت وسيم على أثر رائحة منديل الحوت وبعد ساعة دخلوا جزيرة الساحر فلول ، وخرج وسيم إلى البر وخلع ثياب الحوت، وقد شاهد قصر الساحر بأم عينيه ، فكان قصرا عتيقا فزحف نحوه بكل ثقة وأمان ، وتنقل في غرفه حتى وصل للحجرة التي يجلس فيها الساحر مع الأميرة ، وهي تسقيه الخمر وهو يصيح ويعربد ، وهي تغني له بصوت رخيم ، وهو يشتد طربا وأحلاما ويشتم وسيما ووهيبا .



فتفقد وسيم السيف السحري ، وحاول دفع الباب فوجده مغلقا فتعجب من الأمر ، فتابع المراقبة والتنصت من ثقب الباب، ولاحظ أنه كلما تحاول الأميرة النهوض لفتح الباب يمنعها من القيام ومن ترك الغناء والعزف ، واقترب الفجر ولم تتمكن الأميرة من فتح الباب فتفقد وسيم السيف السحري ، وحاول دفع الباب فوجده مغلقا فتعجب من الأمر ، فتابع المراقبة والتنصت من ثقب الباب، ولاحظ أنه كلما تحاول الأميرة النهوض لفتح الباب يمنعها من القيام ومن ترك الغناء والعزف ، واقترب الفجر ولم تتمكن الأميرة من فتح الباب

فانزوى وسيم في إحدى الغرف حتى خرجت الأميرة على ظهر الساحر وطار بها .



فمكث وسيم في قصر الساحر يفكر وينتظر عودة الساحر ، وهو يخشى أن تضعف الأميرة وتقر بما جرى الاتفاق عليه .. أشرقت الشمس ، ولم يرجع الساحر وأحس الفتى بالحاجة للطعام ،

فأخذ يبحث في الغرف عن مخزن القوت ، ودخل غرفة في أسفل القصر .. غرفة كبيرة وفي وسطها موائد جميلة .. ووضعت عليها أوعية وظروف الطعام المغطاة .. ففتح أحد الصحون فوجده ممتلئا بالطعام المطبوخ ، فأغلقه ونظر إلى بقية الصحون فوجدها كلها ممتلئة بالطعام المطهو ، فاحتار في تفسير ذلك فقال : عجيب ..كأنها قاعة ولائم !.. هل يسكن أحد مع الساحر ؟ .. هل آكل منها أم اصطبر ؟

سمع أصوات قادمة وأحس أنها تقترب من الغرفة ، فأخفى نفسه في زاوية المكان ، وكم كانت دهشته عندما شاهد مجموعة من الحسناوات الجميلات يزلفن الغرفة ويجلسن على مقاعد المائدة وسمع إحداهن تقول : ما أخبار ساحر الأميرة شمهدان ؟ .. فهو سيد هذا القصر في الليل ونحن سادته في النهار .

فردت عليها أخرى : ما زال يعذبها فتقوم على خدمته فتسقيه الخمر وتغني له وتطعمه ..حتى الفجر وهو يتوعدها بالزواج .

فقالت ثالثة : وما الذي يحجزه من الزواج منها ؟

فردت رابعة : هو خائف من فتى اسمه وسيم .. لقد أخبره الشيخ الخفي "وهيب الزمان" أن مصرعه سيكون على يد ذلك الفتى ..فهو يأمل بموت الشاب وسيم ، ثم يتخذ من الأميرة المغرورة زوجة .

قالت خامسة : ساحر البحر ساحر شرير .. ولكنه حزين هذه الأيام .. لقد علم بمقتل ثعبان الثعابين والفيل العملاق على يد الفتى وسيم كما أخبره "وهيب الزمان" قديما .. مما يدل على أن وسيما ظهر على مسرح الحياة ، ولابد أنه آت للانتقام منه ، وإنقاذ الفتاة من شروره رغم أنفه كان هذا الحديث يدور بين الفتيات وهن يأكلن الأطعمة الشهية ، ووسيم يسمعه حيث توارى عن أبصارهن ، فسمع أيضا إحداهنّ تقول : سمعت الشيخ وهيب يحدث أبي بأن وسيما سيتزوج الأميرة شمهدان .. وأنه قادم لهذه الجزيرة .. وسيفتك بالساحر فلول .

قالت ثانية : ولكن كيف سينتصر عليه ؟ وكلنا يعلم أن فلول ساحر رهيب .. فأبوك الأمير يا

قطر الورى يخاف منه ويحسب حسابه ويصمت على شروره .

ردت بنت الأمير : حق ما تقولين .. فلول ساحر كبير وخطير ولا رحمة في قلبه ، فكثير من ملوك الجآن يخافونه ويتقون شره .. فقد نال السحر عن أكابر سحرة الجآن في زمانهم .. ولكن الشيخ "وهيب الزمان" .. أعلم أبي بأن زمان موته أهل واقترب .. وأن وسيما الفتى الشجاع دخل بلاد الأميرة شمهدان وأن الملحمة قادمة .. هيا نخرج للعوم قبل أن نعود لمدننا وممالكنا .

ثم نهضن عن الطعام وإحداهن تقول : سوف تأتي خادمتي نورا اليوم لتنظيف المكان فقد أمرتها بذلك .

وتركن قاعة الطعام سريعا ، وانطلقن نحو البحر ، فخرج وسيم من مخبئه وهجم على الصحاف يلتهم ما فيها من قوت ؛ وفجاءة إذ به يفاجأ بفتاة تنظر إليه ، وهو يبتلع لقمة كبيرة فكاد يشرق ثم سمعها تقول : من أنت ؟؟!

فقال وهو ينظر إليها : لا تنذعري يا فتاة .. ما بك فاغرة الفم ؟ كأنها ترى شبحا يريد أن يبتلعها

فقالت ببطء : من أنت يا هذا .. إنسي أم جني ؟

فقال : بل إنسي .. ماذا تريدين ؟ !

قالت : نسيت شيئا فعدت استرده .

فقال : تعالي فخذيه .. أنا وسيم هل سمعت باسمي يا فتاة ؟

فازدادت دهشتها فكل حديثها ورفيقاتها على مائدة الطعام قبل قليل كان عن وسيم والساحر و "وهيب الزمان" فقالت : حقا ما تقول أيها الفتى .. أنت وسيم صاحب شيخ الزمان وهيب ؟!

رد قائلا : أجل .. أخبريني ما قصتك أنت وهؤلاء الفتيات؟ لقد سمعت حديثكن رغم أنفي

فقالت : أجئت لتقتل الساحر فلول ؟.. كيف وصلت ؟ بل كيف عرفت هذه الجزيرة ؟!

فقال بهدوء أعصاب تعود عليه منذ بداية هذه الرحلة العجيبة ، منذ اجتياز الصحراء والنهر والبحر والجبل : أتيت أيتها الحسناء لإنقاذ الأميرة شمهدان بنت السلطان رمح السماء ، وكذلك

إنقاذ الناس والخلق من شرور الساحر فلول .. فلكل شر نهاية ولكل ظالم ساعة .

أخذت الأميرة حاجتها وهي تقول : أخشى أن أتأخر عن صويحباتي فيفتقدنني واعلم أن خادمة الأميرة قادمة .. سوف تراك .

قال : حسن ؛ ولكن اكتمي أمري ، الليلة ـ إن شاء الله ـ اجتمع بساحر البحر فلول .

خرجت الجنية واستمر وسيم بمضغ طعامه حتى شبع ، ثم صعد للغرف العليا في القصر يشاهد الفتيات وهن يلعبن بالماء ، ثم رأهنّ يلبسن ملابس الغربان ويطرن في عنان السماء ، ثم تفرقن اثنتين اثنتين أو واحدة واحدة ، ولما حل الليل كان وسيم قد اتخذ قرارا بالاختفاء في غرفة سهر الساحر ؛ ولكنه اكتشف أنها مغلقة . فقال :سوف استقبله وعندما أراه يهبط على الأرض أرديه قتيلا .. لا .. أريد أن أعرف كيف أفك سحر الأميرة منه قبل موته .

اختفى في غرفة بعيدة من غرف القصر ونام فيها ، ولما نهض من النوم تفقد السيف الذي وهبه له قتيل الجبل والخنجر المعلق على وسطه ، وانتقل إلى غرفة الساحر يرقبها وينتظر ، وكالمعتاد قبل الفجر بساعات يسيرة أتى الساحر وعلى ظهره الأميرة ، وهبط بها على ظهر القصر ، ثم هبطا نحو الحجرة وهو قابض عليها ؛ كأنه خائف عليها أن تهرب ، وسمعه يقول : مالك منهكة القوى أيتها الأميرة ؟!.. منذ أمس وأنت ضعيفة وأمورك مزعجة لي .. ماذا أصابك ؟

فصرخت بوجهه : تعبت منك .. لقد أهلكتني بسحرك .. أنا مريضة .. فكني من سحرك .. سأطيعك سأكون جاريتك .

فقال قلقا منزعجا: شمهدان .. آنت حقا مريضة ؟! .. فوجهك أصفر .. وليلة البارحة لم تأكلي جيدا ، ولم تشربي الشراب المنعش الذي أحضره لك من بلاد الماح .. أروع شراب ! شراب ملوك الجن النادر .. ما بك يا أميرة الدنيا ؟ .. ألم أمنحك أثمن الجواهر ؟ .. وأندر الأثواب .. اصبري قليلا ، عندما أتخلص من أعدائي الكثر سأفك سحرك .. لا تبكي .. لا تبكي .. لا تؤثر بي الدموع والتوهات فقلبي قُد من الصخر .. اعلمي أيتها الأميرة .. أنت أخطر شيء على حياتي فعن طريقك سيصل وسيم اللعين إليّ .. فأنت حياتي .. هيا ندخل الغرفة .. بل اسبقيني حتى

أجلب الطعام من قاعة الطعام ، وفتح لها الغرفة وهو يقول : اصبري يا أميرتي .. وخذي هذا الشراب الرائع شراب ملوك الجن السبعة . أمسكت الأميرة المنهكة القوى الزجاجة ، ودخلت الحجرة ، وذهب ليأتي بالطعام ، وطرق وسيم الغرفة وهمس: أنا وسيم .. لا تخافي ـ ودخل بسرعة ـ إنك ضعيفة يا أميرة .. قبل شروق الشمس سيموت .

وشد على أسنانه بقوة وقال : لقد سمعت حديثكما وكنت أريد الفتك به ؛ ولكني أريد معرفة فك سحره لك .. اثبتي .

فقالت بخوف : إنه قادم .. ألا تخاف منه ؟!

قال مشجعا : لقد علمني الشيخ الخفي الشجاعة والإقدام .. حاولي جره لكشف أسرار سحره لك . وخبأ نفسه بالغرفة الواسعة .

وأتى الساحر يحمل سفرة الطعام خروفا مشويا ، قد جهزته له خادمة القصر نورا ، ثم ذهب وأتى بقوارير الخمر .

وبدأ الأكل أكلت الأميرة لقيمات ، وتظاهرت بالضعف ، وقامت بسكب الخمر له أكثر من مرة فقال لها وبين فكيه فخذ خروف : مالي أراك مضطربة ومتوترة أيتها الحسناء ؟! .. أتخافين وأنت في حضرة الساحر فلول الذي يحسب حسابه كل ملوك الجن ؟ .. أنا تلميذ الساحر "راب نال" أعظم سحرة بلاد الماح .. هيا أخرجي عودك الجميل وغني لي بصوتك الشجي

فقالت بتأوه وألم : آه منك يا فلول! .. لم تذكر لي يوما كيف استطعت سحري ؟ .. وأنا طفلة صغيرة .

قهقهه الساحر طربا وقال : ذكريات!.. ذكريات يا شمهدان .. إنك أميرة فاتنة جدا ! أجمل صورة وقع عليها نظري .. القمر الجميل في ليالي الصيف الحارة يخجل من حسنك !.. قال لي ساحري الكبير ذات يوم عندما رأيتك لأول مرة .. أنا وإياه في ذلك المساء الذي كان يحتفل أهلك بك في القصر..وكنا من الذين قدر لهم أن يشاهدوا تلك الحفلة الملكية برفقة كاهن

والدك ، فكنا في جملة الكهنة ، ويومها قال لي الساحر الكبير :" هلاكك يا فلول على يد هذه الأميرة .. وقتلك لها لن ينجيك من الموت .. فهناك فتى من بلاد بعيدة سيتزوجها .. فدافع عن نفسك .. هذه كانت البداية يا شمهدان .. أنت موتي .. فالمحافظة عليك هي حياتي .. فصنعت لك سحرا في بلاد الماح .. أتذكرين يوما كنت فيه محمومة ؟ وصنع لك الكاهن شرابا خاصا لشفائك ، فقمت بإبداله بالشراب المسحور .. شراب من عصير الليمون .. ثم تعافيت وسر الملك وقومك بشفائك وأثنى على كاهنه ، ومن يومها أصبحت تحت سيطرتي .. وأصبحت صفحة بيضاء أمامي لا تخفين عني شيئا .. حتى كبرت وبلغت سن الرشد ، فظهرت لك وأصبحت معشوقتي المفضلة ساقيتي الخمر مغنيتي الحسناء .. فسكنت هذا القصر المهجور ، فأحضرك فأمتع عيناي بالنظر إلى جمالك الفاتن وأشرب الخمر من بين يديك .. وأطرب على صوتك الساحر وأحلم بالزواج منك ؛ ولكن بعد موت ذاك الفتى .. فأنت سري وسر حياتي فهذه الذكريات والبدايات يا أميرة القلب .

فقالت كأنها عاتبة : ولكنك جعلتني شريرة .. مجرمة .. مغرورة لا يعجبني شيئا .. أفتك بالصغار قبل الكبار .. أحب الشر وأفرح له .. لقد كنت قاسيا عليّ يا فلول الساحر .. حسنا يا سيدي الساحر ، فهل عندما تقتل غريمك وسيما ستعالجني من السحر وأعود فتاة طيبة ناعمة تحب الخير وتطيع والديها وتحبها ؟ .. بل كيف ستعالجني من السحر ؟!

قالت ذلك وهي تتظاهر ببراءة الأطفال، فأخذ الساحر بالضحك بأعلى صوته ؛ وكأن مسا ألم به ويقول : ويلاه!.. عندما أتخلص من أعدائي .. ستكونين أسعد أميرة في الدنيا .. سوف آتيك بشراب يعيدك فتاة خيرة .. تعودين آنسة محبوبة تحب الخيرات .

فقالت بلهفة وهي تقدم له كأسا أخرى من المنكر : من أين ستحضره ؟ !.. من بلاد الماح ستأتي به يا سيدي الساحر .. ليتني أعرف الطريق لبلاد الماح هذه .

فقال بحدة ؛ كأنه صحا من سكره : مالك متلهفة لمعرفة سر شفائك وعافيتك ؟!

ونهض واقفا وهو يصرخ : أيتها الأميرة إنني أشم رائحة الغدر .. ويلك إن تآمرت عليّ ..

سأقتلك رغم تحذير ساحري الكبير لي عن قتلك .. هل التقيت أيتها الأميرة بوسيم ؟ .. تكلمي .. أول مرة تخفين عني أسرار روحك ..

واقترب منها وأخرج من صدرها منديلا فأخذ يتشممه وهو يقول : ما هذا يا شمهدان ؟! .. هذا منديل مسحور .

فقالت وقد امتقع لونها فأصبحت صفراء الوجه كأنها تموت : نعم .. هذا منديل أعطانيه إنسان يدعى وسيما .. قال لي وسيم احفظي هذا بين ثيابك فلا يستطيع الساحر فلول .. معرفة أسرارك

فقطع عليها الكلام والاعتراف وزاد صراخه : ويحك يا خائنة ! .. لقد التقيت به إذن ولم تخبريني

فقالت : وعدني بالنجاة منك وإنقاذي من شرك وسحرك ، فذكرت له ضعفي أمامك وأنني لا أستطيع اخفاء شيء عنك ، فدفع لي هذا المنديل يحميني به من الضعف أمامك .

فقال الساحر وقد بلغ منه الهياج مبلغا عظيما : ويحك يا غادرة ! يا خائنة !

وهم بصفعها بكل قوة ؛ فإذا بسيف وسيم يفلق رأسه ، وصوت وسيم يقول : خذها من الفتى اليتيم وسيم !

فسقط الساحر أرضا وقال : اضرب يا وسيم لم أمت بعد .

فصاح وسيم وهو متوتر الأعصاب : لقد أوصاني الشيخ "وهيب الزمان" بضربة واحدة .. مت أيها الجبان الغادر .. ولكن أطلب منك قبل موتك أن تعمل خيرا ولو مرة واحدة .. كيف نفك الأميرة من سحرك ؟

فقال وهو يحتضر : لقد صدق الشيخ وهيب عندما بشرني بالموت على يدك أيها الشاب .. ولقد صدق ساحري "راب نال" عندما أخبرني أن هلاكي على يد الأميرة شمهدان .. فظننت أني بسحرها وجعلها تحت سيطرتي أحمي نفسي من المقدر .. لقد كانت غلطة كبيرة دفعت ثمنها حياتي ؛ بل كان عليّ أن أهرب وابتعد عن طريقها .. حتى لا أعرفكم ؛ ولكن ولات ساعة مندم أتريد أن تسعد بها أيها الغلام .. أتريد أن تفك سحرها ؟؟

فهمس وسيم : تكلم اعمل خيرا تذكرك به .. تسامحك وتعذرك به .

فقال الساحر : مع أنني لا أحب الخير ، حياتي الفساد والفتنة والشر ؛ ولكني في هذه الساعة سأعمل خيرا يا هذا .. سأعمل خيرا لقاتلي .. فاعلم أن فك سحرها في بلاد الماح .. هناك صنـعت لها الشراب المسحور .. فإن كنت ترغب في تخليصها من السحر فاذهب إلى هناك عند الساحر " عظمة " تجد الجواب وداعا أيتها الأميرة . وأسلم الروح الخبيثة .

بعدما لفظ الساحر أنفاسه الأخيرة نظر وسيم في عيون الأميرة الباكية وقال : هنيئا لك يا شمهدان .. لقد مات معذبك .. ولسوف آتيك بشراب العافية من بلاد الماح .

مسحت الأميرة دموعها المنهمرة كالنهر ، واقتربت من وسيم وقبلته من جبينه وهي تقول : الحمد لله والشكر لله .. ثم الشكر لك يا سيدي الشجاع .. لقد كنت أعيش في كنفه حياة مرعبة ولدت من جديد .

مسح الفتى دموعها بمنديله وقال : سأجز رأسه ، وأسير به نحو بلاد الماح ، وأقابل أكبر ملوك تلك الدنيا ..واعلمي أيتها الأميرة أنه ستقدم إلى القصر عند الشروق أميرات من الجن يتناولن الإفطار فسوف أعرفهن بأمري وأسألهن عن بلاد الماح .

قطع وسيم رأس الساحر ، ووضعه في منديل كبير يحمله وقال : لنخرج من هذه الغرفة ننتظر قدوم الفتيات .. أو الغربان السود .

واستمعت الأميرة لحكاية وسيم من البداية للنهاية ، فسرت من حديثه وأعجبت بشجاعته وطمعت برؤية الشيخ الخفي " وهيب الزمان " فقال : سوف نراه ليلة زفافنا إذا رضيت بي بعلا .

فقالت : سبحان الله .. وهل أرفض بعد كل هذه المغامرة ؟!

وحدثته عن نفسها وكيف سحرها الساحر واسترقها ؟ فعقب وسيم هامسا : الفرج قريب .. ستعود السعادة لوجهك الحسن أيتها الأميرة .

ولما دخل الفضاء وملأ الكون بالضياء أقبل من جهة البحر سرب من الغربان وهبطن على شجرة عملاقة ، فقال وسيم : هذه هي الغربان التي ننتظرها يا شمهدان .. فلنصبر حتى يخلعن ثياب الريش وأكشف لهن أمري .

نزلت الطيور على الأرض ، ثم قمن بنزع ثياب الريش ، فأصبحن فتيات جميلات بثياب زاهية تمتلئ نحورهن بالقلائد والعقود اللؤلؤية والجواهر الباهرة وأخذن بالزحف نحو القصر .

وفجأة ظهرا أمامهنّ فجفلن وأردن التقهقر للوراء ؛ ولكن إحداهن صاحت : هذا الفتى وسيم وهذه الأميرة شمهدان .



وذكرت لهنّ قصة لقائها به عندما ذهبت تبحث عن خاتمها المفقود في قاعة الطعام .

فقال وسيم : لا تخفن أيتها الجنيات أنا وسيم وهذه الأميرة شمهدان بنت الملك رمح السماء .. لقد صرعت الساحر فلول ، وأنقذت العباد من شره وشروره .. وهذه الأميرة شمهدان أريد إنقاذها من السحر الذي سحرها به لتبقى تحت سيطرته .. فأطلب معونتكن ومساعدتكن .

فلما اطمأنت الجنيات لهما قالت إحداهن : الحمد لله على سلامتك أيتها الأميرة .. فلول ساحر شرير تحسب حسابه الجآن لشره ومكره .. وأنا والدي ملك عظيم من ملوك الجآن ، وسوف يساعدك في الوصول للساحر" عظمة" وهو من كبار سحرة الجن "وعنده بذرة خير.

فقال وسيم : سأحمل رأس فلول لوالدك الملك ليطمئن ويثق بي وأنني قد قتلت الساحر الطاغي فلول .

فقالت الأميرة : ولكن أيها البطل كيف ستنتقل لبلادنا فأنت تحتاج لثياب طائر ؟.. سأدبر الأمر أنا بنفسي .. انتظرني في الجزيرة .

رد عليها وسيم : لا تذهبي معي ثياب نسر .. ألا تدعوننا لطعامكن ؟!

فأبدين ترحابهن بهم ، وقال وسيم بعد الطعام : ستبقى الأميرة في الجزيرة حتى أعود من بلاد الماح بقارورة الشفاء .. هل تبعد بلادك عن هذه الجزيرة كثيرا ؟

قالت الأميرة : بلادنا وراء هذا البحر .. فهو بحر كبير .

لبس وسيم ثياب النسر وانطلق مع بنت الملك ، وهو يحمل رأس فلول الساحر ، وكان قد حث شمهدان على الصبر والانتظار ، وطلب من إحدى بنات الجآن أن تمكث معها ريثما ينهي مهمته

بسلام ، وتبع وسيم الأميرة الجنية حيث بلادها ، ثم استأذنت على والدها له ، فقام الملك مرحبا به أحسن ترحيب ، وهنئوه على قتل الساحر ، وأمر الملك بأن يعلق رأسه على أحد أبواب المدينة ليعلم الناس أن الظالم لابد له من نهاية مهما طال ظلمه وأرشده الملك إلى حيث يسكن الساحر عظمة ، الساحر الذي صنع الشراب المسحور للساحر فلول ، وقام عظمة بتلبية رغبة ملك الجن والبطل وسيم ، وصنع له الشراب الذي يبطل مفعولية الشراب الأول ، وأسف على مقتل فلول الساحر ، وعاد وسيم بالشراب إلى الجزيرة ، وأسقى الأميرة الشراب الدواء فبرئت بإذن رب الدواء ، وبعد ساعات وساعات أخذت الأميرة تتعافى شيئا فشيئا من السحر ، ثم أصابها وجع شديد وصداع أليم وصراخ ملأ الجزيرة حتى ظن وسيم أن الساحر عظمة خدعه ؛ ولكن لما جاء الصباح الجميل كانت الأميرة قد تخلصت من آثار السحر الذي لازمها سنوات وسنوات ، وعادت لطبيعتها البشرية ونضارتها وحيويتها ، وحضرت الجنيات وفرحن لنجاتها ، ولبس وسيم ثياب النسر وحملها على ظهره بعد أن ودعوا الجنيات ، وحلق بها في الفضاء ، ثم طار بها نحو بلاد أبيها ، وهو يهمس قائلا : اليوم يحملك على ظهره زوجك المحب وليس الساحر المنحوس .. هنيئا لك يا شمهدان السلامة .



وعلى ظهر قصر الملك رمح السماء هبط بها ، وكان والداها وأهلها بقلق شديد على غيابها ، وظنوا أن الساحر قد خطفها وهرب بها ، فلما رآوها عادت إليهم البسمة والفرحة ، وعندما علموا ما جرى للساحر ، عانق الملك وسيما عناقا طويلا ، وكذلك فعل إخوتها ، وأعلن الملك الأفراح في البلاد وتوزيع الأموال على الناس ، وإقامة الولائم بمناسبة شفاء الأميرة وموت الساحر فلول ، وعلم الناس بما جرى للأميرة ، وأنها كانت تحت سيطرة ساحر عنيد ، وأن الفتى وسيما قضى عليه ، وأن ما أصابهم منها كان بسبب وقوعها تحت سحره ، ففرحوا لزوال هذه الغمة عنهم ، وكان من أكثر الناس سرورا التاجر سماق الذي ذهب بدوره لقصر الأميرة ،

وهنأها بسلامتها وأبدى حبوره بعافيتها ، وأخذ وسيما بالعناق والتقبيل ، وهو يقول له مازحا : اتخذتني سلما يا سيد وسيم .

ولما انتهت الأفراح الكبيرة بنجاة الأميرة من شرور الساحر فلول ، أعلنت من جديد أفراح اقتران الأمير وسيم على ابنة الملك شمهدان ، وبعد سبع ليال من الاحتفالات تزوج الأمير الشجاع من عروسه الحسناء ، وبدأ الأصحاب والمحبون يأتون للتهنئة والتبريك ، وكان من جملتهم الشيخ الخفي " وهيب الزمان " الذي عانق الأمير وسيما عناق محبة وقال : هنيئا لك يا وسيم ، لقد قمت بالمهمة على خير ما يرام .. ونفذت الخطة بالتمام والكمال .. ولولا شجاعتك وذكائك ما نجحت .. مبارك عليك الأميرة .. وحمدا لله على سلامتك أيتها الأميرة

ولما علمت الأميرة أنه الشيخ وهيب نهضت تقبل يديه وهي تقول : بوركت سيدي الشيخ العجيب .. لقد سخرتك العناية الربانية للمحافظة عليّ وحمايتي من الساحر .. لقد كان يخافك بشدة .. وذكرك دائما على لسانه .

فعندئذ تشجع وسيم وقال : الآن يا سيدي الشيخ الخفي .. ما حكايتك مع هذا الساحر اللعين الشرير الفاجر ؟

فابتسم الشيخ وهو يقدم هديتين لهما ، فأعطى وسيما قلنسوة مطرزة باللؤلؤ والزبرجد والأميرة عقدا من خرز اللؤلؤ والياقوت النادر ، وقال : يا بني لذلك قصة طويلة .. لقد كنا أصدقاء في أيام الشباب ونتاجر معا ونركب البحار معا، فقذفتنا الأمواج لبلاد الماح فالتحق بالساحر "راب نال" ، وعملت أنا في خدمة أحد ملوك الجآن ، ثم أصبح فلول ساحرا يحب الشر ويعشقه ، ونهيته عن ذلك فلم ينته فأصبح لي عدوا مبينا ، إلى أن علمت بسحره للأميرة شمهدان فنهيته عن ذلك فأبى وأصر على الكفر والعناد ، وعلمت من سيده راب أن شفاء الأميرة على يديك ونهايته كائنة على يديك ، فأخذت في البحث عنك في البلاد حتى وجدتك تبكي على أهلك في تلك الحال ، فرتبت الأمور معك ، وأقول لكما أخيرا حافظا على النعم التي وهبكم إياها الرحمن .

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

وسيم والأميرة المغرورة

وسيم والأميرة المغرورة

